فى العالم الخارجى

أثر النفوذ المتزايد للإيڤانجليكيين فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة بأساليب عدة. ففى مسألة حب الخير للبشر وسياسات حقوق الإنسان، تقوم قيادات الإيڤانجليكيين بإعادة ترتيب الأولويات والأساليب.. وفى الوقت ذاته تزيد من تأثيرها الكامل على المساعدات الخارجية.. والدفاع عن حقوق الإنسان. وبالنسبة للمسألة الإسرائيلية، فقد عمقت قوة الإيڤانجليكيين المتزايدة من دعم الولايات المتحدة للدولة اليهودية؛ حتى فى الوقت الذى نأت فيه المؤسسة المسيحية الليبرالية بنفسها عن القدس.

فى مثل هذه القضايا وغيرها، فإن القوى السياسية الإيڤانجليكية لا تقود الولايات المتحدة اليوم إلى اتجاه جديد تمامًا، فقد سبق أن شاهدنا على الأقل، أجزاء من هذا الفيلم من قبل: كان الإيڤانجليكيون هم القوة المهيمنة على الثقافة الأمريكية خلال معظم سنوات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. كان تغير اتجاه البلاد فى السنوات الأخيرة تغيراً واضحًا للعيان.

ساند الإيڤانجليكيون فى عالم الأنجلو أمريكان سياسات الإنسانية وحقوق الإنسان العالمية؛ فعلى سبيل المثال، قاد الإيڤانجليكى ويليام ويلبرفورس الحركة المناهضة للعبودية فى إنجلترا؛ كما كان الإيڤانجليكيون

هم المؤيدين الدائمين لحركات التحرير القومية إبان القرن التاسع عشر؛ حيث كانت الأقليات المسيحية تسعى للتخلص من الحكم العثمانى. وقاد الإيڤانجليكيون عدداً من حملات الإصلاح ذات الملامح الإنسانية:

ضد التضحية بالمرأة عند وفاة زوجها فى الهند، وضد تقييد أقدام الفتيات فى الصين، ومع قضية تعليم المرأة فى دول العالم النامى، وضد تجارة الجنس بين البشر (الرقيق الأبيض) فى أى مكان. وأظهر الإيڤانجليكيون اهتماماً بالغاً بقضايا لها علاقة بإفريقيا.

وبما أن الإيڤانجليكيين قد عادوا مؤخراً إلى موقع القوة فى السياسة الأمريكية، فقد ساندوا قضايا شبيهة بتلك، وأضافوا دفعة جديدة لمساعى الولايات المتحدة فى مجال الخير للبشر. وتحت حكم الرئيس چورچ بوش، وبدعم قوى من مايكل چيرسون (إيڤانجليكى شغل منصب المستشار السياسى للرئيس بوش . . وكاتب خطبه) ارتفعت مساعدات أمريكا إلى إفريقيا بنسبة ٦٧٪ متضمنة خمسة عشر بليون دولار لتغطية نفقات جديدة لبرامج مكافحة الإيدز. وقام بعض السياسيين الأفارقة مثل النيچيرى أولسيجون أوباسانچو والأوغندى يورى موسيڤينى مستغلين أوراق اعتمادهم الإيڤانجليكية لتعزيز نفوذهم فى واشنطون، كما فعل من قبل الصينى صن يات سين والسيدة شيانج كاى شيك. وبفضل الضغط الإيڤانجليكى، أصبحت الجهود المبذولة لقمع تجارة الرقيق، والاستغلال الجنسى للنساء والأطفال ذات أولوية متقدمة فى السياسة الخارجية الأمريكية، وكذلك قادت البلاد إلى النضال لإنهاء الحرب فى السودان. وقام ريك وارين (راعى أكبر كنيسة فى جنوب

كاليفورنيا . . ومؤلف كتاب «الحياة ذات الهدف»، والذى سجل أعلى توزيع فى تاريخ النشر فى الولايات المتحدة) [٢٥ مليون نسخة] بتجنيد حشد من ٢٢٠٠٠ من رعاياه للمساعدة فى الحرب على الإيدز فى العالم كله، كما قام بعقد مؤتمر حول هذا الموضوع وبتدريب متطوعين وبإقامة علاقات بالكنائس فى رواندا.

لم يتبع الإيڤانجليكيون ـ ببساطة ـ أجندة حقوق الإنسان وحب الخير للبشر التى وضعها القادة الليبراليون والعلمانيون. فقد جعلوا الحرية الدينية هى محور جهودهم، بما فى ذلك حرية الدخول فى دين ما أو التحول من دين إلى دين آخر. والشكر كل الشكر لجهود الإيڤانجليكيين فى جعل الكونجرس يمرر قانون «الحرية الدينية العالمية . . فى عام ١٩٩٨م» (مع وجود دور للكاثوليك واليهود أيضًا فى هذا الشأن) وبذلك تم إنشاء مكتب للحرية الدينية العالمية داخل وزارة الخارجية الأمريكية المتشككة.

برغم هذه المبادرات الحكومية، إلا أن الإيڤانجليكيين ـ ولأسباب ثقافية ولاهوتية ـ يرتابون فى المساعدات الحكومية، وفى المنظمات متعددة الأطراف . . فهم يفضلون منظمات القواعد الشعبية . . وتلك القائمة على أسس إيمانية. بشكل عام، ويسارع الإيڤانجليكيون بقوة فى دعم الجهود المبذولة فى مواجهة مشاكل محددة، ويرتابون فى جهود التنمية ذات الأهداف الكبيرة وبعيدة المدى. إن ردود أفعالهم قوية جدًا تجاه حالات محددة من المعاناة الإنسانية أو الظلم. إنهم يولون اهتمامهم لحل المشاكل أكثر من بناء المؤسسات.

(يبدى المسيحيون الليبراليون أسفهم الشديد على هذه الصفة التى يعتبرونها دليلاً على الثقافة الإيڤانجليكية المضادة للثقافة) .

تعد سياسة الولايات المتحدة تجاه إسرائيل . . منطقة أخرى يظهر فيها بجلاء نفوذ الإيڤانجليكيين المتنامى . فقد كان لهذه العلاقة ، ولا يزال ، تاريخ طويل . والحقيقة أن الصهيونية البروتستانتية الأمريكية أقدم من الصهيونية اليهودية المعاصرة . فقد تكررت فى القرن التاسع عشر مطالب الإيڤانجليكيين للمسئولين فى الولايات المتحدة لإنشاء مأوى لليهود المضطهدين فى أوروبا والإمبراطورية العثمانية ، فى الأراضى المقدسة .

اللاهوت الإيڤانجليكى الأمريكى له رؤية فريدة لدور الشعب اليهودى فى العالم الحديث . فمن ناحية ، يشارك الإيڤانجليكيون فى الرؤية المسيحية واسعة الانتشار بأن المسيحيين يمثلون أبناء إسرائيل الجدد والحقيقيين ، وهم ورثة وعود الله لليهود القدامى . وعلى عكس مسيحيين كثيرين ، يعتقد الإيڤانجليكيون أن للشعب اليهودى دوراً مستمراً فى تحقيق أهداف الله ، ففى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، أقنعت دراسة دقيقة لنبوءات الكتاب المقدس الدارسين والمؤمنين الإيڤانجليكيين بأن اليهود سيعودون إلى الأراضى المقدسة قبل العودة المظفرة للمسيح . علاوة على ذلك ، فبرغم أنه من المتوقع أن تعيد السنوات المضطربة السابقة لعودة المسيح عدداً من اليهود إلى المسيح ، يعتقد كثير من الإيڤانجليكيين أنه حتى ذلك الوقت سيظل معظم اليهود على رفضهم له . يخفف هذا الاعتقاد من التوتر المتوقع بين الإيڤانجليكيين واليهود ؛

حيث لا يتوقع الإيڤانجليكيون ما توقعه مارتن لوثر من تحول أعداد كبيرة من اليهود إلى المسيحية بمجرد معرفتهم بالإيمان الحقيقى، وقد أدى غضب لوثر حين لم يجد استجابة لتوقعاته إلى تزايد عدائه للسامية. وهذا ما لا يمكن حدوثه للإيڤانجليكيين المعاصرين.

وجد الإيڤانجليكيون أن استمرار الوجود للشعب اليهودى هو دليل قوى على وجود الله، وعلى سلطته عبر التاريخ. ويروى سفر التكوين أن الرب قال لإبراهيم «سأجعل منك أمة عظيمة.. وسوف أباركك.. وأبارك من يباركك.. وألعن من يلعنك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض». ويرى الإيڤانجليكيون فى بقاء اليهود أحياء عبر العصر الألفى، وفى عودتهم إلى وطنهم القديم، دليلاً على أن الله حق، وأن الكتاب المقدس موحى به، وأن الديانة المسيحية حق.

بعودة الإيڤانجليكيين إلى السلطة
منحوا طاقة ودعمًا جديدين للجهود الإنسانية للولايات المتحدة

يعتقد الكثيرون أن وعد الرب لإبراهيم فى سفر التكوين ما زال قائمًا، وأن رب إبراهيم سوف يبارك الولايات المتحدة طالما تبارك هى إسرائيل، ويرون فى ضعف العالم العربى وهزائمه وفقره، دليلاً شديد الوضوح على أن الرب يلعن من يلعن إسرائيل.

إن النقد الموجه إلى إسرائيل، وإلى الولايات المتحدة لدعمها لإسرائيل، لا يؤثر فى الإيڤانجليكيين، بل إن كراهية العالم لإسرائيل، تقوى إيمانهم؛ لأن من الطبيعى أن يكره الإنسان الساقط [فى الخطيئة]

شعب الله المختار، ووقوف الإيڤانجليكيين بجانب إسرائيل هو وقوف بجانب الله. وهو أمر يجعلهم مستعدين لمجابهة العالم كله. كتب چون هاجى، رئيس رعاة كنيسة إيڤانجليكية كبيرة تضم ثمانية عشر ألف عضو فى سان أنطونيو، فى تكساس، ومؤلف العديد من الكتب التى اختارتها «النيويورك تايمز» كأكثر الكتب مبيعًا:

«إذا تحركت إيران للهجوم على إسرائيل، فعلى الأمريكيين أن يكونوا على أهبة الاستعداد لوقف هذا العدو الشرير فى مكانه».

وكتب هاجى أيضًا «إن سياسة الله تجاه الشعب اليهودى موجودة فى سفر التكوين ١٢ـ٣»(*).

ويمضى هاجى فى كتاباته فيستشهد بذلك السبيل بين البركات واللعنات.. ويحذر أيضًا «إن أمريكا تقف فى مفترق الطرق، فهل نطيع كلمة الله لإسرائيل أو نستمر فى مراوغتنا.. ونتعاطف مع أعداء إسرائيل؟».

إن عودة إسرائيل إلى الأراضى المقدسة، وانتصاراتها غير العادية على أكبر الجيوش العربية، وارتفاع مد الكراهية الذى يهدد اليهود داخل إسرائيل وخارجها، هى أمور ليست فقط تزيد من قوة دعم الإيڤانجليكيين لإسرائيل، بل أيضًا تعزز مكانة العقيدة الإيڤانجليكية فى الحياة الأمريكية، والتى تقرأ فيها قصة اليهود المعاصرين وكأنها جزء من

(*) وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك وتتبارك فيك جميع أمم الأرض ـ سفر التكوين ١٢ ـ ٣ ـ المترجم.

الكتاب المقدس. ولا يزال الهولوكست حافلاً بالذكريات القديمة المؤلمة عن سعى الفرعون لإبادة الشعب اليهودى فى سفر الخروج، وما فعله هامان فى سفر إستير فى العهد القديم. يذكرنا إنشاء دولة إسرائيل بالكثير من الانتصارات الشبيهة كما جاءت فى الكتاب المقدس. يعتبر الإيڤانجليكيون الأحداث غير العادية فى التاريخ اليهودى الحديث دليلاً قويّا على وجود الله، ودوره الفعال فى التاريخ. أضف إلى ذلك التبعات النفسية للأسلحة النووية، مما جعل الإيڤانجليكيين يشعرون أنهم فى عالم أشبه بعالم الكتاب المقدس.

تتمركز السياسة الخارجية الأمريكية حول حماية الدولة من التهديد الإرهابى، الذى يشتمل - على الأرجح - على الأسلحة المخيفة التى تظهر فى سفر الرؤيا، والتى يستخدمها المتعصبون ضد المسيحية، ليشعلوا حربًا دينية وقودها كراهية إسرائيل. كل ما سبق يقوى مزاعم الإيڤانجليكيين.

لقد دعم المسيحيون الليبراليون فى الولايات المتحدة (مثل الليبراليين العلمانيين) الصهيونية، بشكل تقليدى لكن بمنظور مختلف. فاليهود عند المسيحيين الليبراليين شعب مثل أى شعب آخر، وبالتالى ساند المسيحيون الليبراليون الصهيونية بالطريقة نفسها التى ساندوا بها الحركات القومية التى قامت بها الجماعات المضطهدة الأخرى. وفى العقود الحديثة، زاد المسيحيون الليبراليون من تعاطفهم مع الحركة القومية الفلسطينية وعلى الأسس نفسها. وفى عام ٢٠٠٤م، مررت الكنيسة المشيخية مشروع قرار يقضى بالتصفية المحدودة للشركات التى تعمل فى

إسرائيل (لكن تم إبطال هذا القرار فى عام ٢٠٠٦م بعد معركة مريرة). أوضحت إحدى الدراسات أن ٣٧٪ من تصريحات الاستنكار الصادرة عن الكنائس البروتستانتية الرئيسية فيما بين عامى ٢٠٠٠ و٢٠٠٤م حول انتهاكات حقوق الإنسان «تركزت حول إسرائيل». لم تتعرض أى دولة أخرى لمثل هذا النقد الصريح.

نظر أصحاب نظرية المؤامرة والدارسون العلمانيون والصحفيون فى داخل الولايات المتحدة وخارجها إلى «مؤامرة يهودية»، أو بتعبير ألطف إلى «لوبى يهودى» ليبين كيف يتزايد دعم الولايات المتحدة لإسرائيل فى الوقت الذى يقل فيه التعاطف مع إسرائيل فيما كان سابقًا المؤسسة الدينية والثقافية. هناك إجابة أفضل تتخفى وراء دينامية الدين فى الولايات المتحدة. فقد استحوذ الإيڤانجليكيون على القوة الاجتماعية والسياسية، بينما فقدها المسيحيون الليبراليون والمثقفون العلمانيون، ولا يمكن لوم اليهود على ذلك!

* * *